مساعد منزلي، ولكن..!

سراج حسين فتحي

١٤٤٧هـ

المحتويات

بذرة الفكرة..... ٢

الوصول للصين ٤

غرفة النمذجة..... ٧

مفاجآت!..... ١٠

الوصول إلى الدار ١٤

اللحظات الحرجة..... ١٦

القرار والوداع ١٧

الخاتمة..... ١٨

ستار ١٨

بذرة الفكرة

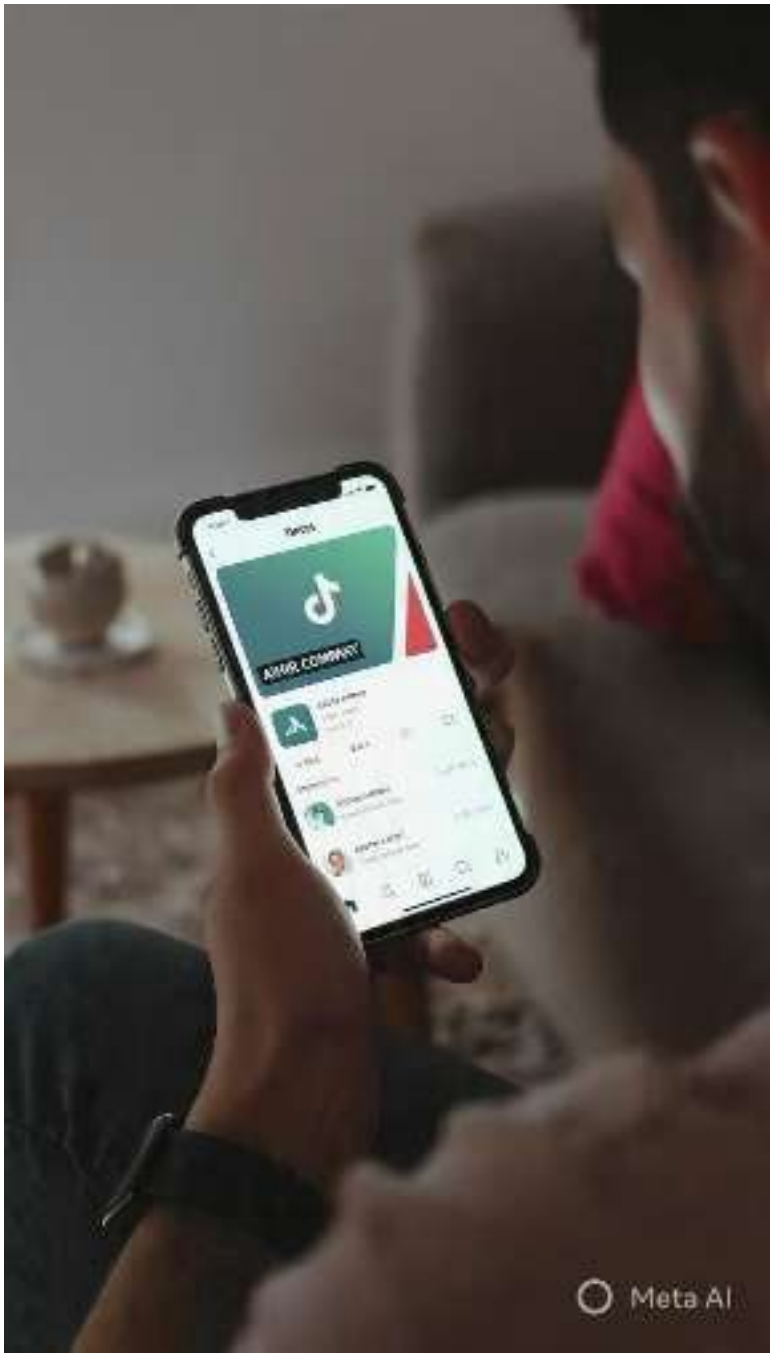

خلال تصفحي لتطبيق التيك توك، خطف بصري إعلان تجاري لشركة AIHR الصينية، تعلن عن إنتاج روبوتات ذكية، نسخة طبق الأصل من البشر، لمن يرغب في نسخ نفسه.

تحققت من صحة الخبر عبر جوجل، الشات، وصديقي الصيني ديب سيك، وأكد الجميع أن الشركة حقيقية وأنها بدأت الإنتاج منذ عامين.

لم تمض دقائق حتى ناديت زوجتي الغالية نفيسة لأشاركها الخبر، لعل خيالها يسبح مع خيالي لنصل إلى فكرة خارقة.

جلست نفيسة بجانبي، وتكاد أنفاسها تتقطع، وعيناها تتأملان الجوال بفضول، وسألت: خير؟ إيش عندك؟

قلت: هل ترين ما رأيتِ؟

قالت مبتسمة: تقصد خبر الشركة الصينية المهببة؟

رأيته منذ يومين، لكن لم أشغّل نفسي به... كالعادة مجرد تهاويل ودعايات ويمكن فبركة من الذكاء الاصطناعي!!

قلت: لا، الموضوع مؤكد، لقد تحققت من كل شيء. حتى ديب سيك والشات والعم جوجل أكدوا صحته.

ابتسمت ساخرة، ثم قالت: طيب، إيش تبغاني أسوي؟

قلت: أريد أن نذهب للصين ونتفق مع الشركة على تصنيع ربوتين يشبهانا تمامًا!!

قالت بدهشة: يا راجل ...أنت بعقلك ولا حصل لك شيء؟

ابتسمت، ثم بعد لحظة صمت، قالت: إذا كنت مقتنعًا... أنا معك، على الأقل نكتشف عالمًا جديدًا ونعتبرها مغامرة!



الوصول للصين

وبالفعل في الموعد المحدد وبعد عمل الحجوزات عن طريق مكتب سياحي نتعامل معه دوما سافرنا إلى بكين دون إخبار أولادنا، حفاظًا على عنصر المفاجأة.

وفي مطار بكين استقبلنا الفريق الصيني والمترجم السوداني عثمان عمر ، ولم تكن إجراءات المطار تقليدية، بل يكفي أننا مررنا ببوابة ذكية ، حتى أننا لم



نظهر جوازاتنا ولا حتى بصمة العين ، ولأننا لم نحمل معنا أغراضا شخصية كثيرة، فقد خرجنا من المطار بسرعة غير عادية رغم كثافة الحركة وشدة الازدحام.

وقد خططنا على عدم إطالة مدة الرحلة ومحاولة الانتهاء من العملية في أسرع وقت لذلك لم نصطحب معنا من الأغراض ما يثقلنا ويتعبنا.

وبعد أن استرحنا قليلا في صالة المطار فالرحلة كانت طويلة جدا حيث استغرقت حوالي اثني عشر ساعة دون توقف ، لذلك توجهنا برفقة عثمان إلى الفندق لنرتاح ونخلد إلى النوم، على أن نقوم بزيارة مقر الشركة في فترة المساء إن استطعنا.

وبالفعل لما شعرنا ببعض الراحة غادرنا الفندق وتوجهنا نحو الشركة التي تقع في منطقة المعارض التجارية الرئيسة والمعروفة عند كل التجار القادمون من كل دول العالم.



وصلنا مقر الشركة وقد كانت إدارة المقر جهزت لنا حفل استقبال خفيف ترحيبا بنا ولأننا – كما يبدو – من أوائل الزبائن العرب الذين اتفقوا معهم على تصنيع روبوتات خاصة بهم، برفقة الأخ عثمان عمر قمنا بجولة في المعرض، وكان يشرح لنا ويوضح كل ما تراه أعيننا، وقد شاهدنا النماذج الموجودة، وتحدثنا مع أحد الروبوتات بالعربية بلكنة حجازية.

بعد أيام من المباحثات والتفكير، وافقنا بصورة مبدئية على عقد اتفاق مع الشركة على تجهيز نموذجين مثلنا تماما في الطول والعرض وبالطبع ملامح الوجه ن وحتى شكل اليدين والقدمين ولون الجلد والعينين وحتى الأذنين والأنف وشكله، وقد أتاحت الشركة لنا فرصة يومين لدراسة العرض والسعر وطريقة الشحن وغيرها من الإجراءات الرسمية.

والحمد لله وصلنا إلى قناعة معقولة وقررنا التوقيع على الاتفاقية التي كانت شبه جاهزة وباللغة العربية مع وجود نسخة بالإنجليزية، وبالفعل ذهبنا في صبيحة اليوم التالي إلى مكتب الشركة للتوقيع واعتماد العقد للبدء في مراحل تجهيز الطلبية، كل هذا ونحن نسير كأننا مغمضي العيون أو مسحورين أو مخدرين لكن مع كامل الوعي!

غرفة النمذجة

وكان أعجب ما حصل معنا هو يوم الاستنساخ والمودلة، حيث تم إدخال كل واحد منا في غرفة لا تزيد مساحتها عن ثلاثة متر في اربعة متر تحتل جدرانها مجموعة كبيرة من الكاميرات الصغيرة وحتى السقف وجوانب من أرضية الغرفة، وما أكثر مصادر الإضاءة وانواعها.

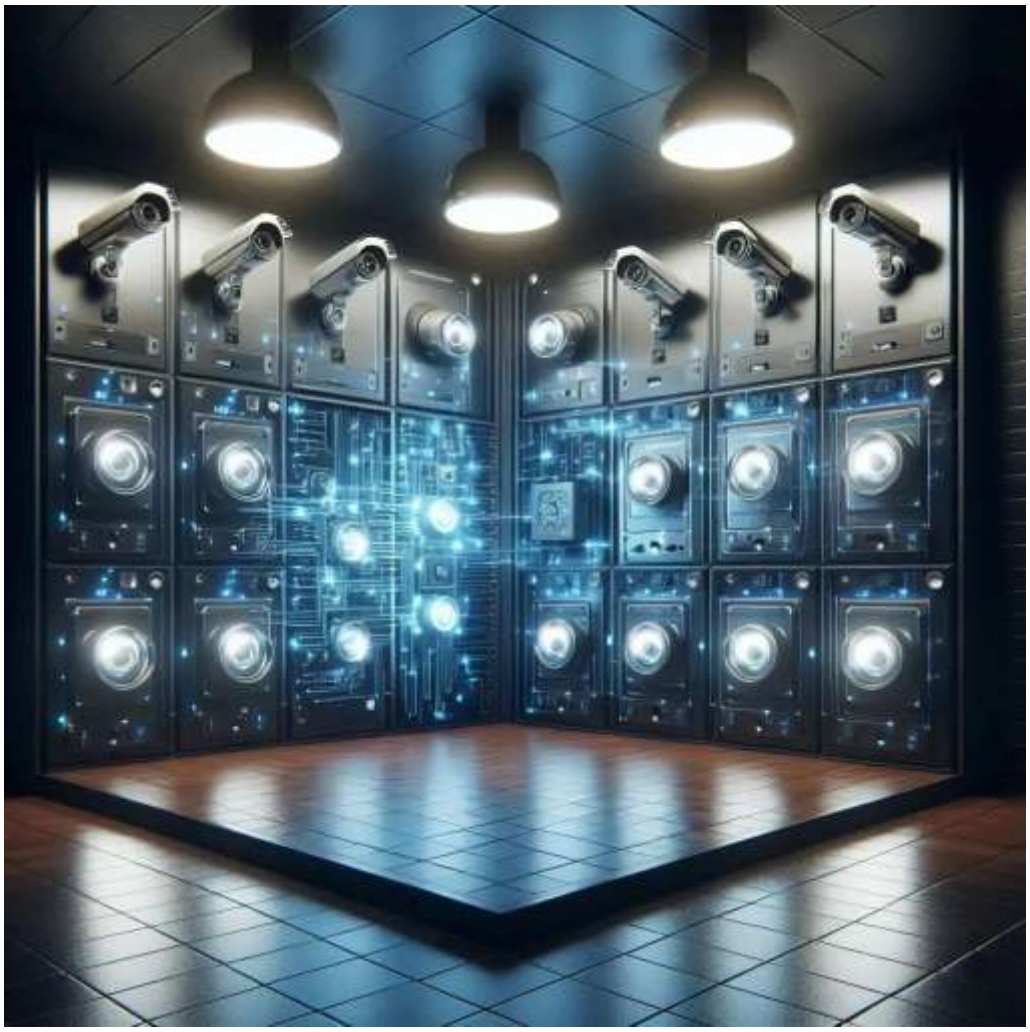

وكانت البداية الجلوس على مقعد اليكتروني مهمته أخذ المقاسات حتى اليدين والقدمين وحجمهما عدا عن مقاسات الرأس وملامح الوجه والعنق، وبطبيعة الحال الكتفين والذراعين وغيرها.

وكانت الخطوة الثانية تقضي بالمرور مراحل النمذجة: القياسات، تصوير الوجه والجسم، تسجيل الصوت، متابعة الحركات والتعبيرات، وصولًا إلى التدريب الصوتي لمدة أربعة أيام متتالية.

بعد الانتهاء من القياسات والتأكد من صحتها ودقتها بدأت عملية النمذجة والتجهيز، وكنت في غرفة ونفيسة في غرفة ثانية ، وكانت ثمة غرفتين أخريتين بجوار الغرفتين التي دخلنا فيها يتم فيها إنتاج الروبوتات تدريجيا ونحن نشاهد كل ذلك بأعيننا لحظة بلحظة.

بعد مرور مالا يقل عن ثلاث ساعات رأينا نسخة منا في الغرفة الثانية صورة طبق الأصل، وكان الهيكل الأساس جاهز بصورة شبه كاملة، ولكن كان لابد من مواءمتها مع أجسامنا وتعديلها بكل دقة،

وقد استغرقت المواءمة وقتا طويلا حوالي ساعتين ، وبعد انتهاء عملية النمذجة واتمام انتاج الروبوتين المطلوبين تم إدخالنا الى غرفة خاصة ومهمة جدا، لنبدأ مرحلة أخرى هي الأهم، مرحلة برمجة الصوت والحركات وطريقة المشي والقيام والجلوس وحتى حركات العيون والكحة والعطس!

وكان التدريب على الكلام من أهم الأشياء التي استغرقت وقتا طويلا، بل وتكرر لمدة أربعة أيام متتالية ولمدة خمس ساعات يوميا.



ولما انتهت العملية تماما وتم تجربة المنتج عدة مرات وبعد صدور تقرير ذكي عن كل شيء، تم تسليمنا الروبوتين الذين اتفقنا مع الشركة على انتاجها، والتنسيق بشأن حجز رحلة لهما معنا الى بلادنا وأهم من ذلك تواصلنا مع السفارة بشان منح الروبوتين بطاقة سفر وتأشيرة دخول وموافقة دخول للبلاد، وقد تمت كل الامور بيسر وسهولة.

وفي النهاية... خرجت نسختان منا، تشبهانا إلى درجة مذهلة، من تعابير الوجه إلى الحركات الصغيرة.

لكن

مفاجآت!

عندما عدنا إلى الفندق واجهتنا مشكلة مع موظفي الاستقبال الصين رفضوا الموافقة على إسكان الروبوتين معنا في الغرفة نفسها، حسب القوانين الصارمة المطبقة لديهم، ورغم أننا بذلنا جهودا مكثفة دون جدوى، فما كان أمامنا سوى حجز غرفة خاصة لهما ليسكنا فيها، لكن يسمح لهما بزيارتنا في أوقات محددة أو أن نزورهما أيضا في وقت محدد.



وبعد انتهاء كل الاجراءات الرسمية مع السفارة والجمارك الصينية باعتبار الروبوتات منتج صيني يتم تصديره خارج الدولة، تم تجهيز الروبوتين من كل ناحية حتى الملابس والأحذية وحقائب الكتف واليد وكأنهما بشر حقيقيون.

في اليوم التالي كان موعد مغادرتنا للصين قد حان ، لذلك ودعنا الفندق وتوجهنا نحو المطار وكان الأخ عثمان عمر برفقتنا لمساعدتنا وبصراحة كان انسانا –حقيقيا – يتحلى بأخلاق راقية كعادة الإخوة السودانيين ، عندما توجهنا نحو مدخل الطائرة تفاجأ الموظف المسئول بحالنا فلم نكن

أشخاصا عاديين بل كان معنا كائنات غريبة تشبهنا ، لكنه أتم الإجراءات اللازمة كما يجب حتى للروبوتين ، ودخلنا الطائرة نبحث عن مقاعدنا ، هنا حدثت المفاجأة التي لم نتوقعها ، فقد رفض الروبوت نسختي الجلوس بعيدا عني ، وكذلك نسخة زوجتي ، فتحدثنا مع المضيفة وشرحنا لها الوضع ، فساعدتنا خاصة وأن الطائرة لم تكن مزدحمة بحمد الله ، فأجلسناهما بيننا حتى يستأنسا بنا ويلتقطا منا تصرفاتنا وسلوكياتنا حتى طريق تناول الطعام ورشف القهوة!

خلال رحلة العودة التي استغرقت أكثر من احدى عشر ساعة كان نسختي الروبوتية يحاول إيقاظي كلما غلبني النعاس أو حتى إذا نمت يحاول افتعال أي حركة لإيقاظي، ولا أدري سبب ذلك، بل حتى نسخة نفيسة كانت تفعل الشيء نفسه!

عندما وصلنا مطار جدة ونزلنا من الطائرة كانت المفاجأة عند نقطة الجوازات حيث وقف الضباط وبعض الجنود مستغربون مستنكرون ما تراه أعينهم وتسمعه آذانهم، فالروبوتان يتصرفان مثلينا تماما الى درجة أن كل من كان حولنا من الركاب وحتى العمال وقفوا مندهشين غير مصدقين لما يحدث أمام أعينهم!



وكانت المفاجأة الأكثر إثارة حضور ابنتنا سامية وزوجها عابد الذي يعمل في المطار لاستقبالنا ومساعدتنا، وقد وقفا مندهشان بدرجة كبيرة غير مصدقين ما يرياه أمام أعينهما وهل بالفعل والداهما أحضرا معهما من منتجات جنون الصين!



خلال مراسم الاستقبال وتبادل مشاعر البهجة كان الروبوتان يقفان بصمت وكأنهما ينتظران من ابنتنا وزوجها الترحيب بهما أيضا فهما يعتقدان بأنهما ليسا غريبان!

مرت دقائق من غرابة المفاجأة لدى سامية وعابد قبل أن يتشجعا ويرحبا بنسختينا الذكية، وكانت المفاجأة الأعجب أن سامية وزوجها لم يصدقا أن الروبوتين كانا نسختين شبه حقيقية مني ومن والدتها حتى في الصوت والحركات وتعابير الوجه وبحة صوتي ونحنحتي أيضا!

الوصول إلى الدار



عندما توقفت سيارة زوج ابنتي عند دارنا رأيت على الروبوتين علامات الاعجاب والدهشة من شكل البيت وحجمه ومساحته فسألاني: هل سنسكن نحن معكم هنا؟

قلت لهما: طبيعي فأنتما نحن ونحن أنتما!

ولما دخلنا من البوابة الخارجية فرحا فرحة شديدة وبدأ كل واحد منهما يتأمل في كل صغيرة وكبيرة في البيت حتى أن نفيسة أبدت بعض المخاوف منهما فأسرت إلى من خشيتها علينا منهما!

ولم تكن سامية وزوجها أقل من زوجتي خوفا وخشية لكني طمأنت الجميع فهما مجرد آلات وليسا بشرا لتكون لديهما نيات شريرة!

لم تمر ساعة على وصولنا حتى رن جرس الباب الخارجي فسارعت سامية لفتح الباب، وإذا بابنتي الصغيرة نبيلة وزوجها أحمد وابنهما فوزي يدخلون قاعة الاستقبال، وكنت قد أوعزت الى الروبوتين بالقيام لاستقبالهم نيابة عنا ولقنتهما ما يجب عليهما القيام به من بروتوكولات الاستقبال من ترحيب، حتى بعض العبارات التي اشتهرت عني حتى لا يشعر القادمون بأي غرابة في الموقف!

وكما توقعت انطلت اللعبة عليهم وظنا أني وأمهم الذين استقبلناهم!

ولم يكتشفا الحقيقة الا بعد أن خرجت وأمهم من الغرفة المجاورة فأصابتهم الدهشة الى درجة الدوار!

بعض إغلاق الستار على المسرحية جلسنا جميعا ومعنا الروبوتين باعتبارهما من أفراد الأسرة، وبطبيعة الحال كان السؤال الروتيني عن تفاصيل الحكاية وحقيقة المفاجأة، وكان لابد من سرد كل شيء دون ضبابية حتى يكون الجميع على علم، لكني قلت لهم: وأين البقية لم يأتوا؟

قالت سامية: في الطريق تأخروا بسبب كثافة الحركة المرورية على الطريق السريع لأنه وقت خروج الموظفين في الشركات، واليوم خميس نهاية الدوام والجميع يبغا يلحق وكثير من الموظفين من أهل مكة وأكيد راجعين على بيوتهم وأهليهم.

أحضرت الشغالة الضيافة ورتبتها على الطاولات وكانت عيناها تتنقلان بين الروبوتين وبيني وبين زوجتي وكأنها في منام، وتكاد تفرك عيناها لتتأكد مما ترى، وما تسمعه، رغم أني أفهمتها القصة لكن دون التفاصيل الدقيقة، لكنها المفاجأة ليست عادية، وربما شعرت بأن الروبوتين سيحلان محلها فتفقد عملها لدينا!

دق جرس الباب فسارعت نبيلة إلى فتحه، لكن لقنتها ألا تقول أي شيء حتى تكتمل المفاجأة، وبالفعل عندما دخلت سلوى ابنتي الوسطى وابنها أيمن وفي حضنها رضيعها وقفت مبهوتة من الموقف، فمن هؤلاء الذين يقفون معنا لاستقبالهم، قلت لها تفضلي اجلسي وارتاحي لأقص عليك الحكاية.

بدأ الأطفال يقارنون، ونشأت مقارنة خفية بيننا وبين النسخ، مما جعل البيت وكأنه يراقبنا ويكشف أخطاءنا الصغيرة.

اللحظات الحرجة

في إحدى الليالي، لاحظت تصرفات غير متوقعة من الروبوتين، فقد كانت نسخة نفيسة تحاول التأكد من كل تفاصيل القهوة والروتين اليومي، وكأنها تريد محاكاة حياتنا بدقة فائقة.

وفي صباح اليوم التالي اتصل عثمان فجأة، موضحًا أن النسخ لم تصنع لتكون بديلًا لنا، بل لاختبار ردود أفعالنا: هل نستطيع التعامل مع بدائل محسّنة منا؟

ثم سألني سؤالًا صعبًا وغير متوقع:

هل يقبل الإنسان أن يُشارك بديله في الحياة، إذا كان البديل أكثر هدوءًا وأذكى وأقل خطأً؟

بعد انتهاء المكالمة ، أخبرت نفيسة بما جرى بيني وبين عثمان ، وبدأت المقارنات، وبدأت الأسئلة تتراكم في البيت... وظهر القرار الحتمي: الاستمرار مع الروبوتين، أم رحيلهما؟

القرار والوداع



قررت نفيسة أن الروبوتين يجب أن يغادرا، لأن البيت يجب أن يعيش على طبيعتنا البشرية، لا على كمال مزيف.

الروبوتان قبلوا القرار بهدوء، طالبين وداعًا مشوبًا بالاحترام، لا حذفًا، وتركوا أثرًا عميقًا في قلوبنا: علمونا معنى البيت والحياة، دون أن يحلوا محلنا.

في صباح اليوم التالي، رن منبّه البيت الذكي بصوت نفيسة المسجّل منذ سنوات، واشتعل التلفاز بعرض تسجيل يوضح الهدف الحقيقي: اختبارنا نحن، ليس الروبوتات.

الدرس: هل نحتفظ بإنسانيتنا، ونحب رغم القدرة على أن نكون أفضل؟

وصل بعد ذلك صندوق صغير يحتوي على ألبوم صورنا، بأخطائنا وتجاعيدنا وفرحنا ودموعنا، مع رسالة أخيرة:

"النسخة الوحيدة التي لا يمكن استنساخها هي تلك التي تُحب رغم قدرتها على أن تكون أفضل."

الخاتمة

ابتسمت نفيسة ابتسامة حقيقية بعد طول تفكير، وعرفنا أن المفاجأة الحقيقية لم تكن في الروبوتين، بل في رحيلهما الذي جعلنا أكثر وعيًا وإنسانية.

تعلمنا أن لا شيء يغني عن الطبيعة البشرية، ولا يمكن لأي نسخة، مهما كانت دقيقة، أن تحل محل الحب الحقيقي والتجربة الحياتية.

وهكذا، بقي أثر الروبوتين في ذاكرتنا، ليس كبديل، بل كمرآة... تكشف ما نحن عليه حقًا.

ستار

